

المفهوم والتفاعل: مقارنة سوسيولوجية تحليلية

Concept and Interaction: A Sociological Analytical Approach

Soubiha Ettalhaoui

صبيحة الطلحاوي

Independent Researcher

باحثة مستقلة

soubihaett95@gmail.com

الملخص

تهدف هذه المقالة إلى إبراز أهمية المفهوم والتفاعل بوصفهما أداتين تحليليتين مركزيين في البحث السوسيولوجي، لما لهما من دور أساسي في فهم الظواهر الاجتماعية وتحليل العلاقات بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع. تنطلق هذه الورقة العلمية من التأكيد على أن المفهوم يشكل بناء ذهنيا مجردا يسمح للباحث بتنظيم الواقع الاجتماعي، وصياغة الإشكاليات، وبناء التحليل النظري، وصياغة الفرضيات العلمية. كما تميز المقالة بين المفهوم والمصطلح، مبرزة أن المفهوم يرتبط بالصورة الذهنية والاستنتاجات الفكرية، في حين يقتصر المصطلح على الدلالة اللفظية المتوافق عليها علميا. وتشير إلى أن المفهوم في علم الاجتماع يعتبر أداة اصطلاحية تحليلية متغيرة بتغير الواقع الاجتماعي، مع التمييز بين المفاهيم النظرية والمفاهيم الإجرائية ودورهما في بناء البحث السوسيولوجي. كما تعالج مفهوم التفاعل باعتباره عملية ديناميكية تقوم على التأثير المتبادل بين الأفراد، وتشكل الأساس الذي تبنى عليه العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات.

الكلمات المفتاحية: المفهوم، التفاعل، البحث السوسيولوجي.

Abstract

This article aims to highlight the importance of the concept and interaction as two central analytical tools in sociological research, because of their essential role in understanding social phenomena and analyzing the relationships between individuals and groups within society. This scientific paper is based on the assertion that the concept constitutes an abstract mental construct that allows the researcher to organize social reality, formulate problems, build theoretical analysis, and formulate scientific hypotheses. The article also distinguishes between the concept and the term, highlighting that the concept is related to the mental image and intellectual conclusions, while the term is limited to the scientifically agreed upon verbal meaning. She points out that the concept in sociology is considered a terminological analytical tool that changes as social reality changes, with a distinction between theoretical concepts and procedural concepts and their role in building sociological research. It also addresses the concept of interaction as a dynamic process based on mutual influence between individuals, and forms the basis on which social relations between individuals and groups are built.

**Keywords:** concept, interaction, sociological research.

Received: 09-11-2025 | Accepted: 21-01-2026 | Published: 10-04-2026

مقدمة

يشكل البحث السوسولوجي أداة علمية أساسية لفهم الظواهر الاجتماعية وتحليل العلاقات التي تنتظم بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع، وذلك من خلال مقارنة علمية تسعى إلى تفسير السلوك الاجتماعي في سياقه الواقعي والكشف عن العوامل المؤثرة في تشكيله وتطوره، ولا يمكن لهذا البحث أن يحقق أهدافه التحليلية والتفسيرية دون الاعتماد على أدوات مفاهيمية دقيقة تمكن الباحث من ضبط موضوع الدراسة وبناء إطار نظري منسجم يساعد على قراءة الواقع الاجتماعي قراءة علمية بعيدة عن التبسيط أو الانطباعية.

ويعد المفهوم من أهم هذه الأدوات، باعتباره بناء ذهنيا مجردا يسمح بتصنيف الظواهر الاجتماعية، وتنظيم المعطيات، وصياغة الإشكاليات والفرضيات، وبناء التحليل النظري. وإلى جانب المفهوم، يحتل التفاعل مكانة مركزية في التحليل السوسولوجي، إذ يمثل العملية الأساسية التي يتم من خلالها إنتاج المعاني، وبناء العلاقات الاجتماعية، وتشكيل الجماعات واستمرارها. فالسلوك الإنساني لا يتحقق بمعزل عن الآخرين، بل يتحدد داخل شبكة من التفاعلات المتبادلة التي تؤثر في الأفراد وتوجه أفعالهم داخل المجتمع.

وانطلاقا مما سبق، ستنقسم هذه المقالة إلى محورين رئيسيين؛ يتناول المحور الأول مفهوم «المفهوم» بوصفه أداة تحليلية في البحث السوسولوجي، من خلال الوقوف عند دلالاته اللغوية والاصطلاحية، والتمييز بينه وبين المصطلح، مع إبراز خصائصه ووظيفته في بناء التحليل النظري، والتفريق بين المفاهيم النظرية والمفاهيم الإجرائية ودورها في ضبط البحث الاجتماعي. أما المحور الثاني، فسيخصص لدراسة «التفاعل» من منظور سوسولوجي، عبر عرض تعريفاته وخصائصه وأهميته في فهم السلوك الاجتماعي وبناء العلاقات والجماعات، مع التركيز على مقارنة التفاعلية الرمزية وإسهامات روادها في تفسير ديناميات التفاعل الاجتماعي.

### المحور الأول: المفهوم: كأداة تحليلية في البحث السوسولوجي

يمثل البحث السوسولوجي وسيلة علمية لفهم الظواهر الاجتماعية وتحليل العلاقات بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع، من خلال دراسة السلوك الاجتماعي في سياقه الواقعي، وتفسير الأنماط والتفاعلات الاجتماعية، وفهم العوامل المؤثرة في تكوينها وتطورها. ويعتبر المفهوم في هذا الإطار أداة أساسية، بحيث يسمح بتصنيف الظواهر وصياغة الفرضيات وبناء التحليل النظري، فهو معنى عقلي يجمع الصفات والخصائص المرتبطة بالموضوع قيد الدراسة، ويساعد

الباحث على تنظيم المعلومات وتوضيحها بشكل منهجي، ما يمكنه من فهم العلاقات المعقدة بين الظواهر المختلفة وتفسير السلوكيات الاجتماعية وتحديد الأنماط والعلاقات بين عناصر المجتمع.

يشق مفهوم " المفهوم " لغة من الجذر (ف ه م)، الذي يدل على الإدراك والعلم بالشيء، إذ جاء في المعاجم العربية كلسان العرب والمعجم الوسيط أن الفهم هو إدراك المعنى والعلم به، فالمفهوم لغويا عبارة عن معنى وفكرة عامة، يتكون من مجموع الصفات والخصائص التي توضح معنى كليا مجردا، ولا يقتصر على لفظ مفرد، بل قد يكون جملة أو تركيبا لغويا يضم مجموعة من الكلمات التي تتكامل فيما بينها لتوضيح معنى شيء معين وتمييزه عن غيره.

يعرف بأنه مجموعة الأفكار، والآراء المرتبطة بشيء ما، والتي تهدف إلى المساعدة في جعلها مفهومة بشكل أكثر وضوحا، ويعمل على وضع المفاهيم أصحاب التخصصات، والدراسات بالاعتماد على تحليل مجموعة من الأسس، والمعلومات حول موضوع ما، من أجل المساهمة في توضيح العديد من المفاهيم المرتبطة به.<sup>1</sup>

تتميز المفاهيم بكونها ترتبط بمواضيع معينة ضمن مجال دراسي محدد، لذلك لكل موضوع ما مجموعة من المفاهيم الخاصة به تعتمد على الاستنتاجات، أي أنه من الممكن استنتاج المفهوم بالاعتماد على دراسات حالية، أو سابقة، أو من خلال الخبرة، والمعلومات التي تتوفر عند الباحث بعد دراسته للمفاهيم دراسة كافية لا يمكن تغييرها بسهولة، أي أن المفهوم يظل ثابتا لفترة زمنية طويلة، ولا يمكن تعديله، أو تحديثه إلا في حال ظهور استنتاجات، ونظريات جديدة لم تكن معروفة في السابق.<sup>2</sup>

المفهوم والمصطلح مترادفات لفظية مختلفة عن بعضها البعض، بحيث لكل دلالة وماهية، فالمصطلح الذي يعرف باللغة الإنجليزية باسم (Term)، وهو عبارة عن اتفاق لغوي بناء على صيغة محددة يتم بين مجموعة من الأفراد المتخصصين بعلم معين، ويعرف أيضا بأنه الوصف اللغوي الثابت لشيء ما، والذي يساهم في توضيح معناه، ويصبح مألوفًا بين مجموعة من الأشخاص في مجال ما، تعد المصطلحات من التراكيب اللغوية المنتشرة في العديد من اللغات حول

1 خضر مجد، الفرق بين المفهوم والمصطلح، مقال نشر بتاريخ 2016/05/09، شوهده بتاريخ (2026/01/25)، الرابط الإلكتروني: <https://h7.cl/1nUWt>

2 خضر مجد، المرجع نفسه.

العالم، وتساهم في بناء الأسس اللغوية لكل لغة محكية ومعروفة بين الشعوب المختلفة، لذلك تساعد المصطلحات على توفير وصف دقيق ومناسب لمجموعة من المفاهيم المشتركة بين الأفراد في مجتمع ما، أو ثقافة معينة.<sup>1</sup>

المصطلح هو وسيلة لتعريف المفهوم، أي أنه يساهم في شرح، وتوضيح معنى المفاهيم بشكل دقيق وصحيح متناسب مع الموضوعات المرتبطة بها، ترتبط بالبيئة التي ظهرت فيها، أي أن كل مصطلح اعتمد على مجموعة من العوامل البيئية التي ساهمت في ظهوره، ليتحول مع الوقت لجزء من أجزاء الحياة العامة عند الأفراد، يستخدم لتوضيح المعاني، أي أن المصطلحات تعمل على شرح المعاني المرتبطة بها، لذلك يتم جمع المصطلحات الخاصة بلغة معينة في كتاب، حتى يتمكن الأفراد من الرجوع إليها، ويسمى هذا الكتاب بالمعجم.

يختلف المفهوم عن المصطلح في أن المفهوم يركز على الصورة الذهنية، أما المصطلح يركز على الدلالة اللفظية للمفهوم، كما أن المفهوم يعتمد على الرؤية الواضحة بالمجال العلمي بينما يرتبط المصطلح بالناحية الأدبية وهو لفظ يطلق على المفهوم.

رغم أن المصطلح والمفهوم قد يستخدمان أحيانا بشكل متقارب، إلا أن هناك فروقات واضحة بينهما؛ بحيث يركز المفهوم على الاستنتاجات الفكرية المرتبطة بالظواهر، وهو ليس بالضرورة موحدًا بين جميع الباحثين في مجال معين، ويتم توثيقه عادة في المراجع العلمية، أما المصطلح فيركز على المعاني اللفظية ويهدف إلى توضيحها لتسهيل فهمها، ويتفق جميع الأفراد المتخصصين على تعريفه ليصبح متداولًا ومعروفًا ضمن المجال العلمي، ويتم الاحتفاظ به في المراجع اللغوية مثل المعاجم. وبذلك يمكن القول أن المفهوم أداة لتحليل الظواهر وفهمها، بينما المصطلح أداة للتواصل العلمي وتوضيح المعاني.

في علم الاجتماع المفهوم عبارة أداة اصطلاحية يستخدمها علماء الاجتماع في تحليل الظواهر الاجتماعية وتصنيف موضوعات العالم الخاضع للملاحظة ويتم إضفاء المعنى من خلال تفسير هذه الظواهر، وصياغة قضايا على مستوى عالٍ من التعميم على أساس هذه الملاحظات. وتصنف المفاهيم ذاتها في فئات باتباع طرق عديدة. فمثلا هناك فرق بين المفاهيم التي تصف الظواهر من خلال الملاحظة المباشرة، وبين تلك المفاهيم التي يتم التوصل إليها من خلال الاستدلال. ذلك أن مدى قابلية المفهوم للتشكل يرجع إلى الاختلاف في تعريفها، بل إن هناك طائفة من المفاهيم التي

<sup>1</sup>أبو لبن وجيه المرسي، المصطلحية: علم المصطلح وصناعة المصطلح، جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات.

يطلق عليها "مفاهيم خلافية بالضرورة". وتتسم كثرة من المفاهيم المستخدمة في العلوم الاجتماعية بأنها وصفية وتقويمية، وعدد غير قليل منها يكون محملا بمضامين وجدانية أو نظرية.<sup>1</sup>

والمفهوم ليس فكرة ثابتة وغير قابلة للتبدل والتحول، بل هو يتغير ويتحول تبعاً للواقع الاجتماعي وظروفه الموضوعية والأيولوجية.<sup>2</sup>

فيما يخص المفهوم السوسيولوجي فهو اصطلاح تجريدي لا يمكن اعتباره النظرية الاجتماعية ذاتها، بل هو جزء منها طالما أنها تتكون من مجموعة أفكار، داخل النظرية الاجتماعية، يعتبر المفهوم وحدة تحليلية أساسية، إذ يمكن الباحث من تحديد الظواهر الاجتماعية، وصفها، وتصنيفها بطريقة منهجية، بعيداً عن الانطباعات الشخصية أو التأويلات العفوية. كما أنه يوفر إطاراً دلالياً موحداً يربط بين الظواهر الاجتماعية المختلفة، ويسهل بناء استنتاجات علمية دقيقة، ويعزز القدرة على المقارنة بين المجتمعات أو بين أزمان اجتماعية مختلفة. وبالتالي لا يقتصر دور المفهوم على التعريف أو الوصف، بل يمتد ليكون أداة مركزية في صياغة النظرية الاجتماعية وتطويرها، حيث تشكل المفاهيم المتصلة ببعضها الأساس الذي تقوم عليه البنية النظرية والتفسيرية لأي دراسة سوسيولوجية.

تنقسم المفاهيم في علم الاجتماع إلى مفاهيم نظرية ومفاهيم إجرائية:

المفاهيم النظرية: في الإطار التحليلي للبحث السوسيولوجي هي بمثابة الآليات التي تسمح للباحث ببناء تحليله، فالإطار النظري من جهة هو عبارة عن قاعدة البحث، عليها يرتكز الوصف ومنها ينطلق التحليل، والجدير ذكره في هذا المجال أنه لا يوجد إطار نظري واحد موحد، فلكل بحث اجتماعي إطاره الخاص يعمل على صياغته من طرف الباحث انطلاقاً من موضوع البحث وإشكالية إشكاليته. ومن جهة أخرى الإطار النظري يعكس تماسك التحليل وصرامة في الصياغة، كما أنه يعكس إيجاباً توجه البحث على الصعيد المنهجي، ذلك أن الباحث الذي يبصر نظرياً بوضوح في بحثه يبصر بوضوح أيضاً على الصعيد المنهجي، حيث يصبح اختيار التقنيات أسهل وأسرع، وهذا ما أكده علم الاجتماع الفرنسي بير بورديو Pierre

1 سكوت جون وجوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة: أحمد زايد ومحمد الجوهري، المجلد 3 (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2022)، ص 208.

2 عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع: الإشكاليات، التقنيات، المقاربات (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2007) ص 128.

Bourdieu (1930–2002)، حيث اعتبر أن الباحث الذي يعرف ماذا يريد من خلال الأسئلة التي طرحها، سوف يعلم كيف يطرح أسئلته بشكل أفضل، ذلك أن المعرفة النظرية تسبق المعرفة المنهجية لكونها أعم وأشمل<sup>1</sup>.

المفاهيم الإجرائية: أو التعريفات الإجرائية أي معاني المفردات الاليات من واقع البحث، أو الحدث الاجتماعي، والتي تمتلك بعض الخصوصية الاجتماعية المختلفة عن مثيلتها في مجتمعات أخرى<sup>2</sup>.

مثلا إذا كانت عينة بحث ما تتحدث عن الأفراد بين سني 15 و 25 سنة ويتعلق الأمر بجنس الاناث فقط، فإننا نعرف الفرد إجرائيا: هو كل فرد من جنس الاناث ما بين عمري 15 و 25 سنة، فضلا عن خصائص أخرى.

استنادا على ما سبق، يعد المفهوم أداة مركزية في البحث السوسيولوجي، فهو يشكل المعنى العقلي المجرد الذي يربط بين الخصائص المميزة للظواهر والعلاقات الاجتماعية القائمة بينها. ومن خلال ضبط وتحديد المفاهيم المرتبطة بموضوع الدراسة، يتمكن الباحث من فهم الظواهر الاجتماعية وتحليل سلوكيات الأفراد والجماعات داخل المجتمع بشكل منهجي ودقيق، وبذلك لا تقتصر أهمية المفهوم عن كونه وسيلة لوصف الواقع الاجتماعي فقط، بل يمتد دوره ليصبح قاعدة أساسية لبناء التحليل النظري، وصياغة الفرضيات، وتفسير الأنماط والتفاعلات الاجتماعية، ما يعزز القدرة على تقديم رؤى علمية متعمقة حول ديناميات المجتمع وعلاقات أفرادها.

### المحور الثاني: التفاعل كآلية تفسيرية في التحليل السوسيولوجي

يشير التفاعل في معناه العام إلى دور متبادل له طابع ديناميكي، وإلى علاقة بين متغيرين أو أكثر مع ملاحظة أن هذه العلاقة تنطوي على تأثير متبادل بين الأطراف أو المتغيرات بمعنى أن قيمة كل متغير تؤثر على قيمة سائر المتغيرات الأخرى.

التفاعل علاقة شخصية مباشرة بين فردين على الأقل، يمكن أن يكون لغويا (تبادل لفظي) أو بصري (تبادل النظرات)، ويمكن أن يكون محدودا في الزمن أو مؤقتا (تفاعل بين بائع و مشتري في السوق)، أو على العكس من ذلك مكررا

1 عبد الغني عماد، مرجع سابق، ص 129 و 130.

2 طاهر حسو الزياوي، أساليب البحث العلمي في علم الاجتماع (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2011)، ص 104.

و منتظما ( التفاعل بين الأستاذ و المتعلمين في حجرة دراسية) و العلاقة بين الأفراد أو العلاقة بين الآباء و الأبناء التي تعتبر أساسية لكل التفاعلات من الدرجة الثانية<sup>1</sup>.

حقيقة أساسية لا يمكن النقاش فيها هي أن السلوك الإنساني يتم من خلال التفاعل، إذ لا يحدث السلوك الفردي بمعزل عن الآخرين، بل يتشكل ويتأثر دائما بالعلاقات المتبادلة التي يقيمها الإنسان مع المحيطين به. ولهذا السبب يولي علم الاجتماع اهتماما خاصا بدراسة التفاعل، نظرا للأثر الكبير الذي يحدثه على مستوى البناء الاجتماعي، وكيفية تنظيم الجماعات وقيام العلاقات بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع. فالتفاعل الاجتماعي يتيح تبادل المعاني، القيم، والتوقعات بين الأفراد، ويشكل بذلك الوسيلة الأساسية لفهم سلوكهم الاجتماعي، حيث أن أي علاقة أو تواصل بين شخصين أو أكثر يؤدي إلى تعديل السلوك والتكيف مع المتغيرات المحيطة. ومن هذا المنطلق يمكن القول إن التفاعل ليس مجرد وسيلة اتصال وتواصل، بل هو عنصر جوهري في استمرارية الحياة الاجتماعية وبقاء الجماعات واستقرارها.

ينطلق عالم الاجتماع الأمريكي جورج هومانز George C. Homans (1910-1989) في تحليله للجماعات من مفهوم التفاعل، الذي يعرفه بوصفه سلوكا موجها نحو شخص آخر أو متأثرا به، حيث يعد هذا المفهوم حجر الأساس في فهم العلاقات من داخل الجماعات، ويرى هومانز أن التفاعل لا يقتصر على الأفعال الظاهرة فحسب، بل يشمل أيضا الاستجابات المتبادلة والتوقعات التي تنشأ بين الأفراد أثناء وجودهم في إطار جماعي، يؤكد على أن أنماط السلوك داخل الجماعة تتشكل نتيجة لسلسلة من التفاعلات المتكررة التي تقوم على مبدأ التأثير المتبادل بين الأفراد.

كما يشير هومانز إلى أن مفهوم التفاعل، في هذا السياق، يتقاطع بدرجة كبيرة مع مفهوم التفاعل الاجتماعي، إذ إن كليهما يركز على العلاقات الديناميكية التي تربط الأفراد بعضهم ببعض، وما ينتج عنها من تبادل للأفعال والمعاني، ويؤكد أن فهم البناء الاجتماعي للجماعات لا يمكن أن يتحقق بمعزل عن تحليل هذه التفاعلات، لأنها تمثل الأساس الذي تتكون منه القواعد، والأدوار، والمعايير الاجتماعية داخل الجماعة. وبالتالي، فإن دراسة التفاعل وفق تصور هومانز تساهم في تفسير كيفية نشوء الاستقرار أو التغيير في البناء الجماعي، وتوضح الآليات التي من خلالها يتأثر سلوك الفرد بسلوك الآخرين داخل الجماعة.

1 Frédéric Lebaron, La sociologie de A à Z (Paris: Dunod, 2008),p. 72.

ويمكن تعريف التفاعل الاجتماعي إجرائياً بأنه ما يحدث حينما يشترك شخصان أو أكثر في عملية اتصال ليست بالضرورة اتصال فيزيقي، وما يستتبع ذلك من تعديل في السلوك<sup>1</sup>. ويعرف كذلك بأنه العملية التي يرتبط بها أعضاء الجماعة ببعضهم مع بعض عقلياً وواقعياً، في الحاجات، في الرغبات، والوسائل، والغايات، والمعارف وما شابه ذلك<sup>2</sup>. وبالرجوع إلى فكرة تشبيه جورج هومانز مفهوم التفاعل بالتفاعل الاجتماعي، فإن التفاعل هو عملية اجتماعية أساسية تتضح خلال التواصل والعلاقات بين اثنين أو أكثر من الأفراد أو الجماعات والتفاعل يشكل سلوكاً اجتماعياً ويتم من خلال اللغة أو الرموز والإشارات والمعاني المتبادلة ويحتوي على التأثير المتبادل بين سلوك الأشخاص وتوقعاتهم وتفكيرهم<sup>3</sup>.

إذا ما أردنا تناول التفاعل من المنظور السوسيولوجي، لا بد لنا من التوقف عند النظرية التفاعلية الرمزية، التي تعتبر من أهم النظريات المفسرة للتفاعل الاجتماعي على المستوى الميكرو-سوسيولوجي، وترتكز هذه النظرية على أن فهم السلوك الاجتماعي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال تحليل المعاني التي يضيفها الأفراد على أفعالهم وأفعال الآخرين أثناء عملية التفاعل، حيث ينظر إلى السلوك الاجتماعي بوصفه فعلاً موجهاً نحو الآخرين ويعكس فهم الفرد للمعاني والقيم الاجتماعية.

وتعود الجذور الفكرية للتفاعلية الرمزية إلى عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (1864–1920) Max Weber، الذي ركز على أهمية الفعل الاجتماعي في تفسير الظواهر الاجتماعية، وأوضح فيبر أن الفعل الاجتماعي هو كل سلوك يكتسب معنى من خلال توجيهه إلى الآخرين أو توقع الفرد لاستجاباتهم له، وأن فهم هذا الفعل يتطلب النظر إلى السياق الاجتماعي والمعاني الذاتية التي يضيفها الفرد على أفعاله. وبالتالي يصبح التفاعل الاجتماعي عملية ديناميكية تعتمد على التبادل المستمر للرموز والمعاني بين الأفراد، مما يسمح بفهم كيفية نشوء الأنماط الاجتماعية وتنظيم العلاقات داخل الجماعة.

1 Julius Gould and William L. Kolb, eds., A Dictionary of the Social Sciences (London: Tavistock Publications, 1964), p. 662.

2 حامد زهران، علم النفس الاجتماعي، (القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع، 2003)، ص 92.

3 George A. Theodorson and Achilles G. Theodorson, A Modern Dictionary of Sociology (New York: Crowell, 1969), p. 21.

وقد أسهم في تطوير هذه النظرية عدد من علماء النفس الاجتماعي، وفي مقدمتهم جورج هيربرت ميد George Herbert Mead (1863–1931)، الذي ركز على دور التفاعل الرمزي واللغة في تكوين الذات والوعي الاجتماعي. كما يعد هيربرت بلومر من أبرز رواد هذه النظرية، إذ صاغ مفهوم التفاعلية الرمزية وحدد مبادئه الأساسية، مؤكداً على أن الأفراد يتصرفون اتجاه الأشياء بناءً على المعاني التي تحملها لهم، وأن هذه المعاني تنشأ وتتعدل من خلال التفاعل الاجتماعي.

وحسب نظرية التفاعلية الرمزية، الرمز هو كل ما يشير إلى شيء آخر ويمثل له معنى متفقاً عليه اجتماعياً، مثل اللغة المكتوبة والمنطوقة، والإشارات، والعلاقات، والقوانين والقيم المشتركة. وتؤدي هذه الرموز دوراً محورياً في تنظيم التفاعل الاجتماعي، إذ تمكن الأفراد من تفسير سلوك الآخرين والتواصل معهم وبناء أنماط مستقرة من العلاقات الاجتماعية.

أما التفاعل الرمزي فيشير إلى ذلك النمط من التفاعل الذي يتم بين الأفراد من خلال الرموز، حيث يعتمد في جوهره على المعاني التي تحملها هذه الرموز. ويحدث معظم هذا التفاعل في إطار الاتصال المباشر وجهاً لوجه، غير أنه قد يتحقق أيضاً بأشكال أخرى من الاتصال الرمزي، كالتفاعل الذي ينشأ بين القارئ والمؤلف عند قراءة نص له، أو عند امتثال الفرد للإشارات الضوئية أو مخالفتها، إذ تؤدي هذه الرموز دوراً أساسياً في توجيه السلوك الإنساني.

يمثل التفاعل الرمزي أحد الأسس التي تميز الفعل الإنساني عن السلوك الحيواني، إذ ينفرد الإنسان بامتلاك القدرة على إنتاج الرموز وتأويلها واستعمالها في تنظيم علاقاته الاجتماعية، ولا تتكون هذه القدرة في زمن محدد، بل تتبلور عبر مسار تاريخي طويل من التطور الاجتماعي والثقافي، أسهم في نشأة اللغة وبناء الأنساق الرمزية التي تضيف على الفعل الاجتماعي معناه وتمنحه بعده الدلالي.

وفي إطار نظرية التفاعلية الرمزية، ينظر إلى التفاعل الاجتماعي باعتباره عملية مستمرة تقوم على تبادل المعاني من خلال الاتصال المتبادل بين الأفراد، سواء على مستوى الفرد مع الفرد، أو الفرد مع الجماعة، أو الجماعات فيما بينها. ويشكل هذا التفاعل الأساس الذي تبنى عليه العلاقات الاجتماعية، حيث تتحدد من خلاله معاني السلوك، وتتكوّن الأدوار الاجتماعية، وتنتج المعاني المشتركة التي تسهم في إعادة إنتاج البنية الاجتماعية أو إحداث التغيير داخلها.

التفاعل الاجتماعي عملية مركبة تقوم على منظومة من القيم والرموز والإشارات واللغة، ولا يمكن أن يتحقق إلا في إطار وجود طرفين أو أكثر، سواء كانوا أفراداً، أو جماعات، أو أجزاء مختلفة من المجتمع. ويستند هذا التفاعل إلى تبادل المعاني والدلالات المشتركة التي تتيح للأفراد فهم سلوك بعضهم البعض وتوجيه أفعالهم في سياق اجتماعي منظم.

ومن هذا المنطلق يشكل التفاعل عملية أساسية لا غنى عنها في المجتمعات الإنسانية، إذ يمثل الأساس الذي تقوم عليه العلاقات الاجتماعية وبناء الجماعات واستمرارها، فبغيب التفاعل تنتفي إمكانية قيام الجماعة أو الحفاظ على تماسكها، ولا يمكن الحديث عن وجود اجتماعي منظم، لأن الجماعة تتشكل فقط من خلال شبكة مستمرة من التفاعلات التي تربط بين أعضائها وتمنحهم شعور الانتماء والهوية المشتركة.

كما تؤكد مقارنة التفاعلية الرمزية أهمية دراسة المعاني الذاتية التي يضيفها الأفراد على أفعالهم، وكيف يسهم استخدام الرموز واللغة في تنظيم السلوك الاجتماعي وبناء الهوية الجماعية. ويظهر من خلال هذه النظرية أن التفاعل الاجتماعي عملية ديناميكية متشابكة، تجمع بين البعد الفردي والجماعي، وتعكس التبادل الرمزي الذي يميز المجتمع الإنساني ويكسبه خصائصه الاجتماعية الفريدة.

وعليه، يصبح تحليل مفهوم التفاعل أداة مركزية لفهم المجتمع بعمق، وفك شفرة بناء الجماعات، وضبط سلوك الأفراد ضمن السياق الاجتماعي، مما يعزز القدرة على تفسير التغير الاجتماعي واستشراف آليات الاستقرار الاجتماعي في المجتمعات الإنسانية.

#### خاتمة

ختاماً، يمكن القول إن كلا من المفهوم والتفاعل يشكلان ركيزتين أساسيتين في فهم الظواهر الاجتماعية وتحليل العلاقات بين الأفراد والجماعات، فالمفهوم بوصفه أداة تحليلية تجريدية، يضطلع بدور محوري في ضبط موضوع البحث، وتنظيم المعطيات، وصياغة الإشكاليات والفرضيات، مما يسهم في بناء تحليل نظري دقيق يربط بين الواقع الاجتماعي والتفسير العلمي.

وفي المقابل، يمثل التفاعل عملية ديناميكية جوهرية تتشكل من خلالها المعاني وتبنى العلاقات الاجتماعية، حيث تتحدد السلوكيات الفردية والجماعية عبر التأثير المتبادل وتبادل الرموز والدلالات. وتبرز مقارنة التفاعلية الرمزية الأهمية البالغة للغة والرموز في توجيه الفعل الاجتماعي، وبناء الذات والهوية، وفهم آليات تشكل الأنماط الاجتماعية واستمرار الجماعات أو تحولها داخل السياق الاجتماعي.

وعليه، فإن الجمع بين التحليل المفاهيمي ودراسة التفاعل يتيح مقارنة أكثر عمقا وشمولية للواقع الاجتماعي، ويعزز قدرة البحث السوسيولوجي على تفسير ديناميات السلوك الاجتماعي وفهم آليات الاستقرار والتغير داخل المجتمعات الإنسانية، بما يفتح آفاقا تحليلية أوسع أمام الدراسات السوسيولوجية المعاصرة.

## المراجع | References

- حسو، الزبواوي طاهر. أساليب البحث العلمي في علم الاجتماع. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2011.
- زهران، حامد. علم النفس الاجتماعي، القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع، 2003.
- سكوت، جون، وجوردون مارشال. موسوعة علم الاجتماع، ترجمة: أحمد زايد ومحمد الجوهري، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2022، المجلد 3.
- عماد، عبد الغني. منهجية البحث في علم الاجتماع: الإشكاليات، التقنيات، المقاربات. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2007.
- Blumer, Herber. *Symbolic Interactionism: Perspective and Method*. Berkeley: University of California Press, 1969.
- Bourdieu, Pierre. *The Logic of Practice*. Stanford: Stanford University Press, 1990.
- Gould, Julius, and William L. Kolb, editors. *A Dictionary of the Social Sciences*. London: Tavistock Publications, 1964.
- Homans, George C. *The Human Group*. New York: Harcourt, Brace & World, 1950.
- Lebaron, Frédéric. *La sociologie de A à Z*. Paris: Dunod, 2008.
- Mead, George Herbert. *Mind, Self, and Society: From the Standpoint of a Social Behaviorist*. Chicago: University of Chicago Press, 1934.
- Theodorson, George A., and Achilles G. Theodorson. *A Modern Dictionary of Sociology*. New York: Crowell, 1969.
- Weber, Max. *Economy and Society: An Outline of Interpretive Sociology*. Berkeley: University of California Press, 1978.